حرب ١٩٥٦م: شهادة إسرائيلية

د. نبيل السيد الطوخى
قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة المنيا

كانت حرب ١٩٥٦م نقطة تحول فى تاريخ مصر والوطن العربى والصراع العربى الإسرائيلى. والقيمة الأساسية لهذه الحرب أنها لم تكن مجرد حرب تحمل رقم اثنين فى الصراع العربى الإسرائيلى الذى لا يعلم أحد متى ينتهى. ولا فى أنها تحالف علنى سافر بين دولتين كانتا من أكبر دول العالم هما بريطانيا وفرنسا وبين دولة صغيرة مشكوك فى شرعية وجودها هى إسرائيل. ذلك أن القيمة الأساسية لحرب ١٩٥٦م تكمن فى أنها كانت خطا فاصلا فى تاريخ العالم ومحطة حاسمة فى كفاح شعب مصر. لقد كان الهدف الوحيد الذى اجتمع حوله أطراف العدوان الثلاثى على مصر هو تدميرها والقضاء على نظامها الوطنى الثورى. وقبلت إسرائيل أن تكون ذيلا لبريطانيا وفرنسا على أمل تمكينها من الحصول على مكاسب إقليمية فى سيناء.

وسوف نحاول إلقاء الضوء على حرب ١٩٥٦م من خلال عرض لعدد من الشهادات الإسرائيلية. ويأتى على رأسها شهادة موشى ديان فى كتابه «يوميات معركة سيناء»[١]. وأهمية هذه الشهادة تأتى من أن صاحبها كان يشغل منصب رئيس هيئة الأركان العامة. ومعنى ذلك أنه كان على قمة الهرم فى الجيش الإسرائيلى مما يعطى لشهادته قيمة كبيرة. فحديثه عن حرب ١٩٥٦م أو «حرب سيناء» كما يسمونها فى إسرائيل. حديث العالم ببواطن الأمور. حيث يكشف الكثير من أسرار هذه الحرب. وإذا كانت شهادة موشى ديان تمثل المؤسسة العسكرية فإن شهادة جولدا مائير فى كتابها «حياتى»[٢] تمثل المؤسسة السياسية باعتبارها كانت تشغل منصب وزير خارجية إسرائيل. وشاركت بحكم منصبها فى الاتصالات واللقاءات السرية التمهيدية بين إسرائيل وفرنسا على وجه خاص. تلك الاتصالات واللقاءات التى أدت إلى الاتفاق على شن الحرب على مصر.

أما الشـــهادة الثالثة فتخص موشى كرمل والذى كان يشغل منصب وزير المواصلات فى الحكومة الإسرائيلية، والذى عرض شهادته فى مقال بعنوان «هكذا اتخذ القرار»[٣]. وقيمة شهادته أنه كان ضمن وفد إسرائيلى ذهب إلى فرنسا للتفاوض مع الفرنسيين على تزويدهم بالســلاح وأنجز مهمته بشكل ممتاز على حد تعبيره لأن فرنسا تفهمت الموقف الإسرائيلى وأبدت استعدادها التام لتلبية احتياجاتها سواء أكان على صعيد التسليح فقط أم على صعيد الإعداد لعملية عسكرية ضد مصر[٤].

أما الشهادة الرابعة فتخص إسحاق رابين والتى عرض لها فى مذكراته[٥]. وكان يشغل منصب قائد القيادة الشـمالية بالجيش الإسرائيلى وهو يعترف فى شهادته بأن تدخله فى هــذه الحــرب كان محدودا، لكنه يعرض لنــا أهم النتائج التى ترتبــت على هذه الحرب ســواء على الجانب الإســرائيلى أو على الجانب المصرى[٦]. وإذا كان رابين قد أوجز فى عرضه لنتائج حرب ١٩٥٦م فى مذكراته فقد تحدث فى مقال له بعنوان «عبر حرب سيناء ١٩٥٦م»[٧] عن خلاصة الإنجازات التى حققتها تلك الحرب، وهو تحليل على درجة كبيرة من الأهمية كتبه فى عام ١٩٦٦م فى الذكرى العاشــرة لحرب سيناء وقبل حرب ١٩٦٧م، وكان يشغل منصب رئيس الأركان الإسرائيلى آنذاك.

أما الشهادة الأخيرة من هذه الشهادات فتخص «مردخاى بار أون» وهو عقيد احتياط، ورئيــس مكتــب رئيــس الأركان ١٩٥٦م. وذكر شــهادته فى مقال بعنوان «حرب ســيناء شــخصيات وإنجــازات»[٨]، ويركز فى شــهادته على أهداف إســرائيل من دخول حرب ١٩٥٦م وعلى نتائجها من وجهة النظر الإسرائيلية.

وسوف نعرض لهذه الشهادات من خلال العناصر الآتية:

١ـ دوافع إسرائيل لدخول الحرب:

يمكــن القــول إن إســرائيل لم يكتب لها القيــام أو البقاء إلا لأنها قاعدة للاســتعمار، فنظرا لأهمية فلســطين التاريخية والدينية وموقعها الاستراتيجى بين بلدان المشرق والمغرب العربى قرر الاســتعمار البريطانى إقامة إسرائيل فى فلســطين قلب الوطن العربى، كنقطة ارتكاز وانطلاق للتحكم بالمنطقة العربية وثرواتها وإرادتها[٩]، وبدأت عملية الاستيلاء على فلســطين بحلم صهيونى ســاعد على تحقيقه توافق هذا الحلم مع اســتراتيجية الاستعمار فــى غرز إســرائيل كخنجر فى قلب الأمة العربية يعطل تماســكها، ويشــتت جهودها،

ويحرس مصالح الغرب الذى وجد فى منظمة الأمم المتحدة - التى أقيمت بعد الحرب العالمية الثانية محكمة يستصدر منها حكما بإقامة الدولة اليهودية فى فلسطين[١٠].

وإذا كانت إسرائيل على حد وصف جمال عبد الناصر هى «الطفل المدلل للدول العظمى»[١١] فإن موقف الدول العظمى من إسرائيل ليس مجرد مصادفة، ولا هو نابع من العطف على اليهود بعد طول اضطهاد، فالسياسة الدولية لا تحكمها العواطف ولا تسيرها مصادفات، وإنما هى فى التحليل الأخير تعبير عن مصالح محددة.

ومنذ قيام إسرائيل فى مايو ١٩٤٨م على أشلاء الشعب الفلسطينى، تعمدت قيادته السياسية ممثلة فى رئيس وزرائها فى ذلك الوقت - ديفيد بن جوريون - أن تغفل أى ذكر لشكلها الجغرافى أو حدودها السياسية[١٢]، وفيما بعد قال بن جوريون إنه تعمد هذا التجاهل «لثقته أن الجيش الإسرائيلى هو الذى سيخطط هذه الحدود»[١٣]، أى إن حدود إسرائيل تكون حيث يقف جنود إسرائيل، وهى دعوة عدوانية صريحة لغزو أراضى الغير، وظلت إسرائيل تعتبر قيام الدولة فى عام ١٩٤٨م مرحلة على طريق مرسوم نحو غاية كبرى، لذلك بدأت منذ نشأتها فى الإعداد لتنفيذ المراحل التالية من خلال سياسة معادية للعرب وخاصة مصر، باعتبارها أكبر وأقوى الدول العربية وأكثرها فاعلية على مسيرة القومية العربية[١٤].

وما أن استقرت أوضاع إسرائيل نسبيا حتى عملت على تلمس الذرائع لعدوان جديد يتيح لها فرصة التوسع الإقليمى. وفى عام ١٩٥٦م استغلت إسرائيل فرصة الأزمة الناجمة عن تأميم قناة السويس وشاركت بريطانيا وفرنسا فى العدوان على مصر[١٥]. ولقد تحددت أسباب العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م بأنه نتيجة حتمية لتصادم أهداف ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م التحررية مع أهداف ومصالح الدول الاستعمارية والصهيونيه العالمية وأخذ هذا الصدام عدة اتجاهات متلاقية يصدر كل اتجاه منها من قلب إحدى دول العدوان ويتجه إلى قلب مصر[١٦].

فماذا عن دوافع إسرائيل لدخول الحرب ؟

قبل أن نتكلم عن دوافع إسرائيل لدخول الحرب نطرح سؤالا طرحته أحد الشهادات وهى شهادة «مردخاى بار أون» والسؤال كالتالى:

هل كانت حرب ١٩٥٦م حرب خيار بالنسبة لإسرائيل ؟

وكانت الإجابة «إن من المشكوك فيه أن تنطبق شروط (حرب الخيار) على كل ما يتعلق بأحداث ١٩٥٦م. لكن حرب عام ١٩٤٨م كانت حرب (خيار حقيقية) لأن إسرائيل كان بإمكانها فى ذلك الوقت أن لا تنضم للجوقة الفرنسية والبريطانية فى نضالها ضد تأميم قناة السويس. فتلك الحرب لم تكن بمثابة ضربة وقائية، أو ردا ضروريا على الأخطار الفورية التى تهدد إسرائيل»[١٧].

وبالرغم من ذلك فإن مردخاى يقول «كان الإسرائيليون متفقين تماما فى الرأى بأنه حتى لو كانت إسرائيل تمتلك الخيار الآن فإنها فى المستقبل لن تجد أمامها مفرا سوى أن تتصدى لمصر وتردعها. لذا فقد كان عليها اختيار الوقت المناسب لشن تلك الحرب بحيث تتمكن من تحقيق أهدافها والانتصار»[١٨].

والواقع أن إسرائيل كانت فى انتظار الفرصة المواتية للانقضاض على مصر[ ]. وقد التقت النوايا الإسرائيلية مع النوايا الغربية بشأن إيقاع الهزيمة بجيش مصر وإسقاط نظامها الثورى.

وتجمع كل الشهادات تقريبا على أنه منذ إعلان جمال عبد الناصر عن صفقة الأسلحة التشيكية فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٥٥م[١٩]. والتحفز والتوتر يهز كامل العمود الفقرى الإسرائيلى. وقد أصبح الخوف من الجولة الثانية يأخذ معايير زمنية وإمكانية حقيقية[٢٠] إلى حد اعتقاد بن جوريون[٢١] فى حديثه إلى موشى ديان «أعتقد أنهم سيهاجموننا فى الصيف ويجب علينا الافتراض بأنهم سيقومون بذلك. فالمنطق يقول إنهم سيشنون هجومهم بمجرد تأكدهم من إمكانية النصر»[٢٢].

وتؤكد المصادر الإسرائيلية المعاصرة على أن كميات ونوعيات الأسلحة التى بدأ السوفييت فى إرسالها إلى مصر قد أدت إلى تقويض التوازن التسليحى فى الشرق الأوسط. ويعلق موشى ديان على صفقة الأسلحة التشيكية قائلا «هذه الصفقة فى ضوء ما اعتادت دول الشرق الأوسط أن تعقده من صفقات تبدو أكثر مما هو عادى فضلا عن إضافة هذه الصفقة إلى ما هو موجود فعلا فى حوزة مصر قد سبب زيادة اضطراب ميزان القوة المهتز أصلا فيما بين الدول العربية وإسرائيل»[٢٣].

وحديث ديان عن ميزان القوة يتفق مع تلك البدعة التى خلقتها الدول الاستعمارية وهى مهزلة توازن القوى وأساسها أن لا تعطى الدول العربية مجتمعة من السلاح أكثر مما تعطى

إسرائيل بل تعطى إسرائيل أكثر مما تبيع للدول العربية مجتمعة لكى يضمنوا توازن القوى بين العرب وإسرائيل[٢٤]. وبالتالى فإن ميزان القوى طبقا لمفاهيم الاستعمار يتعادل ويصح طالما امتلكت إسرائيل من الأسلحة والمعدات ما يفوق ما تملكه كافة الدول العربية مجتمعة. والميزان يضطرب ويختل إذا ما كسرت مصر هذا الاحتكار وقامت بتسليح جيشها لا بغرض العدوان، ولا بغرض الحرب، ولكن بغرض الدفاع عن نفسها[٢٥].

وإذا كانت شهادة ديان تؤكد على أن صفقة الأسلحة التشيكية كانت عاملا حاسما فى قلب «ميزان القوى» رأسا على عقب[٢٦] فإن الدراسة الموضوعية للصفقة التى أبرمتها مصر لا تنبئ بأن السوفييت قد عملوا على تجاوز هدف تعزيز النظام المصرى وتمكينه من البقاء خارج الأحلاف وتحقيق التوازن مع إسرائيل. فلم تكن الأسلحة التى تعاقدت عليها مصر – باستثناء القاذفات الخفيفة – تمنحها التفوق الذى يمكنها من تهديد أمن إسرائيل بصورة خطيرة[٢٧].

وبالرغم من ذلك فقد ساد افتراض فى جميع الأوساط الإسرائيلية على أن العرب لن يتنازلوا بأية صورة من الصور عن القيام بمحاولة ثانية لتدمير إسرائيل، مما بعث جوا من الحذر والرعب[٢٨]. وأخذت الأحزاب تقترح (برنامج طوارئ) لمواجهة الكارثة المرتقبة[٢٩]. وعقد الكنيست اجتماعا لمناقشة الموضوع مناقشة شاملة. وقد عبر جميع الخطباء فى كلماتهم عن أن المعنى الحقيقى الكامن خلف صفقة الأسلحة التشيكية لمصر هو الحرب وأن هذه الحرب ستهب فى القريب العاجل[٣٠].

وأدرك بن جوريون أن الأهداف الحقيقية الكامنة خلف قيام عبد الناصر بعقد صفقة الأسلحة التشيكية هو أن هذه الأسلحة ستوجه ضد إسرائيل وحدها، ولذلك فقد قال للسفير الأمريكى فى ١٥/ ١/ ١٩٥٦م «من الواضح أن رصاص السلاح السوفييتى هدفه الصدور الإسرائيلية»[٣١]. ويذكر موشى ديان فى مذكراته أن الحكومة الإسرائيلية نظرت إلى عقد عبد الناصر لصفقة الأسلحة التشيكية على أنه تمهيد لمواجهة حاسمة سيقوم بها عبد الناصر «لمحونا من الوجود أو على الأقل لتحقيق نصر عسكرى يجعلنا خاضعين بلا حول ولا قوة»[٣٢]. ويمكن القول إن صفقة الأسلحة التشيكية كانت من العوامل التى دفعت إسرائيل إلى التفكير جديا فى العدوان على مصر لإجهاض القوة العسكرية المتنامية لمصر.

أما الدافع الثانى وراء العدوان الإسرائيلى على مصر فينحصر فى رغبة إسرائيل فى توجيه ضربة حاسمة للحصار المصرى على خليج العقبة بعد النجاح الذى حققته مصر فى

فرض سيطرتها على مضايق تيران (شرم الشيخ، ورأس نصرانى، وجزيرتى تيران وصنافير) الأمر الذى أتاح لها السيطرة على حركة الملاحة البحرية من إسرائيل إلى البحر الأحمر[٣٣].

وقد أورد موشى ديان فى يومياته عن معركة سيناء أن مسألة حرية الملاحة فى البحر الأحمر كانت إحدى عوامل الاشتعال الرئيسية فى النزاع بين مصر وإسرائيل. فمن أجل الوصول من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر يجب على السفن الخارجة من ميناء حيفا أن تعبر قناة السويس. وكذلك فإن السفن التى تبحر من إيلات[٣٤] - الميناء الجنوبى لإسرائيل - يجب أن تمر فى مضيق إيلات. وقد كانت سياسة مصر سد هذه المعابر فى وجه السفن الإسرائيلية ومنعها بذلك من الاتصال البحرى المباشر مع شرق إفريقيا وآسيا. ويرى ديان أن منع استعمال هذه الممرات كان يمثل ضررا اقتصاديا خطيرا وحائلا يعطل من نموها[٣٥].

ويذكر ديان أن المصريين قرروا فى سبتمبر ١٩٥٥م «زيادة وتوسيع نظام غلق المضايق فوجهوا بيانا لشركات الملاحة والطيران بأن المرور فى البحر والجو، هو مرور فى أرض ومياه إقليمية مصرية يجب الإبلاغ عنه قبل ٧٢ ساعة. وأما فيما يختص بإسرائيل فقد تضمن هذا البيان عدم السماح لطائراتها وسفنها بالمرور فى المضايق بسبب قيام حالة حرب بين مصر وإسرائيل»[٣٦]. ثم قال «وتوقفت عقب هذا البيان بالإضافة للملاحة، الرحلات الجوية لشركة الطيران الإسرائيلية «العال» على خط تل أبيب - جنوب إفريقيا الذى يمر طريقه فوق المضايق»[٣٧].

وهكذا نجحت مصر فى تشديد الحصار الاقتصادى من هذا الاتجاه على إسرائيل وفق ما تقتضيه حالة الحرب فى أحكام القانون الدولى[٣٨]. ولقد تبرمت إسرائيل بشدة من هذا الحصار الذى حول ميناء إيلات إلى شاطئ بحيرة مغلقة، الخروج منها رهن بموافقة المصريين على حد قول موشى ديان[٣٩]. بل إنه اعتبر هذا الإجراء وقتئذ، بمثابة القشة الأخيرة[٤٠] وبدأت الحكومة الإسرائيلية تفكر جديا فى احتلال مضايق إيلات بقصد ضمان الملاحة الحرة للسفن الإسرائيلية فى البحر الأحمر، وبحثت الحكومة فعلا هذا الموضوع فى نوفمبر ١٩٥٥م. ولكن تقرر أن الوقت غير مناسب لذلك ورؤى أن تعمل إسرائيل فى المكان والزمان اللذين يبدوان مناسبين لها[٤١].

وهكذا رفضت إسرائيل الدخول فى حرب وقائية بسبب ما ستسفر عنه هذه الحرب من دمار وخراب. وخشية أن تتدخل دولة ثالثة فى هذه الحرب كان بن جوريون يعنى

احتماليـة وقوف بريطانيا إلى جانب العرب بشـكل عملى) وخوف إسـرائيل من ظهورها بمظهـر أمـة عدوانية. وفى هذه الحالة فإن الجميع سـيمنع عنها السـلاح على حد قول مردخاى بار أون[٤٢].

وبدأت إسـرائيل فى انتظار الوقت المناسب لشن حرب على مصر بحيث يتلاءم الزمان والمكان مع مخططاتها ووجهت جل جهودها نحو التوصل إلى توازن فى التسليح على حد قول إحدى الشـهادات[٤٣] والتوازن الذى تقصده إسـرائيل هو التفوق العسكرى الذى يتيح لها الانتصار السريع والسهل لأن إسرائيل لا تتحمل هزيمة عسكرية. وتمكنت إسرائيل من توطيد أواصر علاقاتها مع فرنسا التى وافقت بدورها على تزويد إسرائيل بأسلحة حديثة[٤٤] فهدأت المخاوف الإسرائيلية بعض الشىء[٤٥].

وفى إبريل ١٩٥٦م وصلت إلى إسرائيل الطائرات (الميستير) الفرنسية. ووقعت إسرائيل وفرنسـا اتفاقا سـريا على الصعيد الاسـتخبارى واتفاقا آخر للتزود بالسلاح أسفر عن بدء وصول شحنات من الدبابات والمدافع المتحركة والذخائر وقطع الغيار إلى إسرائيل[٤٦].

وفى أعقاب قيام الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السـويس (٢٦ يوليو ١٩٥٦م)، بدأت عمليات جس النبض الفرنسـية البريطانية الأولى لإشـراك إسرائيل فى حرب ثلاثية ضد مصر. وكى تقنع الدولتان إسـرائيل بالاشتراك تعهدت فرنسا بتزويدها بكميات كبيرة أخرى من الأسـلحة تضمنت عشـرات الدبابات والمدرعات والطائرات والأجهزة المساعدة الأخرى. وقد أسـفرت تلك الصفقات عن تزايد قوة الجيش الإسـرائيلى خلال أغسـطس وسبتمبر وأكتوبر بشكل لم يسبق له مثيل[٤٧].

ويذكر موشى كرمل فى شهادته أن الفرنسيين أكدوا على ضرورة الإعداد لعملية عسكرية ضد مصر – وذلك خدمة لمصالحهم الناجمة عن المسـاعدات التى تقدمها مصر للجزائريين – على أن تبادر إسرائيل نفسها بالهجوم، وعلى أن يكون ذلك الهجوم حاسما ويؤدى إلى هزيمة مصر وإخضاعها[٤٨].

ووافقت إسـرائيل على دخـول الحرب ضد مصر بالتواطؤ مع فرنسـا وإنجلترا، وكان بن جوريـون قد افتتن بفكرة أن إسـرائيل الدولة الحديثة التـى لم تبلغ من العمر أكثر من ثمانى سـنوات فى هذا العالم تزاملت مع حليفتين من القوى العظمى: إنجلترا وفرنسا فى عملية السويس وسيناء[٤٩].

والسؤال الذى يطرح نفسه على حد قول إحدى الشهادات هو كيف وافقت إسرائيل على المشاركة فى الحرب فى الوقت الذى كانت حكومتها فى السابق تعارض بشدة كل مبادرة تؤدى إلى نشوب حرب شاملة دون التوصل إلى توازن تسليحى مع مصر بشكل مناسب؟.

وتجيب إحدى الشهادات عن هذا السؤال فتذكر أن غالبية الزعامة السياسية والعسكرية الإسرائيلية كانت على يقين بأن عبد الناصر سيوجه كل جهوده لتصفية الحساب معهم بمجرد تلاشى أصداء قضية قناة السويس. وتغلبه على المشاكل التى خلفتها له. وبمجرد تمكن جيشه من استيعاب السلاح السوفييتى الجديد. ذلك أن تأميم القناة رفع عبد الناصر إلى ذرى المجد وجعل زعامته للعالم العربى بلا منازع. فإذا ما تمكن من التغلب على أزمة (قناة السويس) وخرج منها دون أن يصيبه أى أذى فلا شك أنه سيتمكن من توحيد الأمة العربية خلفه. وحينها ستواتيه الفرصة الذهبية ليضرب ضربته ويهزم إسرائيل هزيمة ساحقة. بالإضافة إلى أن أزمة السويس أوجدت متغيرات جديدة فى منطقة الشرق الأوسط أدت إلى قلب الموازين والتى أملت على الإسرائيليين الامتناع عن شن حرب وقائية فى نهاية ديسمبر ١٩٥٥م - رأسا على عقب وهى كالتالى:

(أ) أدى تأميم قناة السويس إلى نقل بريطانيا سواء أكان ذلك بإرادتها أو رغما عنها إلى الخندق الإسرائيلى على الأقل فيما يتعلق بمصر.

(ب) إن مشاركة إسرائيل للبريطانيين والفرنسيين فى الحرب ضد مصر سيعفيها من تحمل جزء كبير من الخسائر المادية والبشرية التى كان بن جوريون يخشاها فيما إذا شنت إسرائيل وحدها الحرب.

(جـ) إن المشاركة الإسرائيلية ستؤمن قيام الفرنسيين بتزويدها بأسلحة بشكل عاجل وبكميات كبيرة. إضافة إلى شكل التحالف الذى سينشأ والذى سيحول فرنسا خلال العقد التالى إلى أكبر مزود لإسرائيل بالأسلحة[٥٠].

ويدل ذلك على الدور الانتهازى الذى لعبته إسرائيل فى هذه الحرب وهو الدور الذى شبهه موشى ديان فى مذكراته براكب الدراجة الذى يسافر إلى أعلى الجبل مستعينا بعربة تسير أمامه. وعندما يصل إلى هدفه يتركها ويشق طريقه بنفسه[٥١].

وهكذا أوضح لنا ديان أن إسرائيل كانت تعتمد أساسا فى مخططها للعدوان على مصر على وقوع الغزو البحرى الأنجلو - فرنسى. وتحول ثقل الصراع المسلح نحو قناة السويس

وبهذا يخلو لها الميدان فى سيناء فتتصرف مثل راكب الدراجة الذى يصعد الجبل مستعينا بعربة تسير أمامه. ويؤكد ديان على ذلك قائلا «ولولا المغامرة الإنجليزية – الفرنسية لكان هناك شك فى أن إسرائيل يمكن أن تقوم بمعركة سيناء. ولو كانت فعلت ذلك لاختلف وجه المعركة عما حدث سواء من الناحية العسكرية أو من الناحية السياسية»[٥٢].

ويدل ذلك على الدور الانتهازى الذى لعبته إسرائيل فى حرب العدوان الثلاثى على مصر. وها هو موشى ديان يقر بأن إسرائيل لم تكن لتجرؤ على التصدى للحرب بمفردها. وأن العملية الأنجلو فرنسية «موسكتير» كانت هى الحافز والأمان للهجوم الإسرائيلى على سيناء. ولكن ما هى أهداف إسرائيل من دخول الحرب؟.

٢ـ أهداف إسرائيل من دخول الحرب:

قررت إسرائيل شن الحرب ضد مصر وكانت لبن جوريون أهداف استراتيجية من ضرب مصر تتلخص فى: ضرب قواعد الفدائيين فى شبة جزيرة سيناء. وتفريغ شبه جزيرة سيناء من أى احتمال هجوم مصرى وجعلها منطقة منزوعة السلاح. والسيطرة على مضيق تيران المتحكم فى الطريق البحرى لإيلات عبر خليج العقبة؛ وتأمين مشارف إيلات بالسيطرة على طابا. وطرد مصر من قطاع غزة وعدم السماح بعودتها؛ وإسقاط نظام ناصر الثورى[٥٣].

ولقد جاء فى خطاب ديفيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل فى ١٥ أكتوبر ١٩٥٦م أمام الكنيست قبل العدوان بنحو أسبوعين إن مصر هى العدو الرئيسى لإسرائيل»[٥٤]. وفى اجتماع لمجلس الوزراء الإسرائيلى صباح الأحد ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦م أى قبل الحرب بيوم واحد أكد ضرورة الحرب ضد مصر. ويمكن أن نوجز الأهداف الاستراتيجية لإسرائيل من المشاركة فى حرب ١٩٥٦م فى الآتى:

تأمين الكيان الصهيونى. وفرض الملاحة الإسرائيلية فى خليج العقبة. وخلق حالة صراع مسلح على مشارف القناة تكون ذريعة لشن الهجوم الرئيسى لحلفاء إسرائيل (بريطانيا وفرنسا) مع جذب أنظار القيادة العامة المصرية بعيدا عن اتجاه الضربة العسكرية الرئيسية ضد مصر. واستدراج معظم القوات المسلحة المصرية نحو سيناء وتوريطها فى قتال استنزافى وقطع طرق إمدادها والمساعدة فى تشتيتها لتقاتل ثلاث قوى فى آن واحد (إسرائيل وفرنسا وبريطانيا) تمهيدا لتدميرها فى أسرع وقت ممكن لحسم الصراع المسلح لصالح إسرائيل ومن ثم تأمين شبة جزيرة سيناء. وأخيرا الحفاظ على التفوق العسكرى لصالح القوات الإسرائيلية من خلال إجهاض صفقة الأسلحة الروسية لمصر عام ١٩٥٥م[٥٥].

وبالرغم من هذه الأهداف الواضحة والصريحة إلا أن بعض الشهادات الإسرائيلية تتجاهل الحقائق عن عمد وقصد بغرض تزييف التاريخ ومن هذه الشهادات شهادة جولدا مائير التى ذكرت أن الهدف من العدوان الإسرائيلى كان «منع تدمير الدولة اليهودية. فالتهديد كان واضحا. ولا أحد فى إسرائيل نسى حرب الإبادة والتصفية الجماعية فكان علينا أخذ زمام المبادرة، والله يعلم بأنه لم يكن قرارا سهلا لاتخاذه. فبدأنا بالتخطيط سرا لحملة سيناء التى عرفت فى إسرائيل بعملية قادش»[٥٦]. وهذا الكلام لا يتفق مع حقائق التاريخ المعروفة. ويمثل مغالطات مقصودة بغرض تشويه حقائق التاريخ.

أما موشيه ديان فيقول فى مذكراته يوم ٢ أكتوبر ١٩٥٦م ما يلى «وفى هذه الليلة أعطى الأمر الإنذارى لمعركة شاملة. معركة هدفها عزل الجيش المصرى من العريش حتى شرم الشيخ. معركة إن نجحت ستضمن حرية الملاحة إلى إيلات وتبعد قواعد الجيش المصرى والإرهاب إلى ما وراء شبة جزيرة سيناء»[٥٧]. وهو هنا يذكر الأهداف كما يراها، لكنه يرى عكس ما نراه والإرهاب الذى يقصده هنا هو قواعد الفدائيين المصريين فى سيناء الذى كان يريد القضاء عليها، لكنها لا تقوم بعمل إرهابى كما يدعى ديان بل إنها كانت تقوم بعمل وطنى مهم وهو الدفاع عن الوطن ضد من يتربصون به ويريدون احتلاله. وتلك المفاهيم المغلوطة فى الفكر الإسرائيلى لا تزال موجودة حتى الآن فى النظر إلى المقاومة بوصفها إرهاب وهذا أيضا بعيد عن الحقائق التاريخية المعروفة.

ويذكر مردخاى بار أون فى شهادته أن بن جوريون قال فى إحدى جلساته الأسبوعية التى عقدها مع رئيس أركانه ومدير مكتب وزارة الدفاع «إن المكسب الوحيد الذى قد تسفر عنه هذه الحرب – إذا ما أسفرت عن مكسب – هو أن تتمكن من إسقاط جمال عبد الناصر»[٥٨]. وكان الإسرائيليون يأملون فى أن يؤدى إيقاع هزيمة ساحقة بمصر إلى تقويض زعامة عبد الناصر وثقته الشخصية بنفسه، ويساعد فى إعادة إحياء قدرة الردع الإسرائيلية[٥٩]. كما كان هدف إسرائيل السيطرة على شرم الشيخ لتأمين الملاحة من وإلى إيلات بشكل نهائى، واحتلال المنطقة الممتدة من العريش وحتى شرم الشيخ فى محاولة من إسرائيل لجعل هذه المنطقة بمثابة حزام أمنى يلف صدر النقب، ويشكل متراسا دفاعيا إضافيا إذا ما فكر المصريون فى المستقبل فى شن حرب مفاجئة[٦٠]. ولكن هل تحققت الأهداف الإسرائيلية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عليه من خلال النقطة التالية والمتعلقة بنتائج حرب ١٩٥٦م.

٣ـ نتائج حرب ١٩٥٦م من وجهة النظر الإسرائيلية:

تتفق كل الشهادات في أن إسرائيل حققت انتصارا فى حرب ١٩٥٦م. بل ورأت بعض الشهادات أن إسرائيل حققت كل أهدافها. ويرى إسحاق رابين أن حرب ١٩٥٦م حسب نتائجها من أنجح حروب إسرائيل وجيشها الصغير. ولا أهمية البتة للعوامل المساعدة التى توفرت فى تلك الآونة والتى لا يمكن أن تتكرر فى المستقبل. والإنجاز الأول يتمثل فى تعزيز فكرة الردع الإسرائيلية. وغرس القناعة لدى العرب بأن القتال ضد إسرائيل يحمل فى طياته أخطارا جسيمة عليهم. والإنجاز الثانى هو التأكيد على كفاءة إسرائيل العسكرية وزيادة ثقة الجيش الإسرائيلى فى نفسه[٦١].

أما الإنجازات العملية لحرب سيناء فتتمثل فى حرية ملاحة إسرائيلية دائمة. الأمر الذى أدى لتطوير النقب وإيلات. كما أدى إلى فتح الطريق أمام إسرائيل لإقامة علاقات مع دول شرق إفريقيا. كما شكلت جسرا يمكنها أن تعبر عليه إلى الشرق الأقصى ووسط آسيا. فضلا عن الهدوء الذى أخذ يسود قطاع غزة فى الآونة الأخيرة. وتلك الحدود التى أصبحت أهدأ حدود بالنسبة لإسرائيل مما ساعد على تطوير مستوطنات الحدود بشكل كبير. كما كان لحرب سيناء أثر كبير لتعزيز موقف إسرائيل فى الشرق الأوسط. ودفع العديد من الدول على التفكير فى إقامة علاقات معها بسبب قوتها العسكرية والسياسية[٦٢].

أما مردخاى بار أون فيذكر أن جميع الأهداف التى وضعتها إسرائيل نصب عينيها قد تحققت فعلا فى حرب ١٩٥٦م على الجانب المصرى ومنها:

(أ) أن الطريق المائى القادم من وإلى مضائق تيران أصبح مفتوحا فى وجه السفن الذاهبة من وإلى إيلات مما أسفر عن ازدهار الميناء بشكل كبير. كما أصبحت هناك علاقات تجارية متينة مع عدد من دول البحر الجنوبية ودول شرق آسيا. كما أنشئ أنبوب نفط حصلت إسرائيل عن طريقه على كل احتياجاتها النفطية. بل وباعت النفط الذى قامت بتصفيته إلى الدول الأوربية.

(ب) توقفت جميع أعمال الفدائيين. وجميع عمليات التسلل التى ضايقت خلال السنوات السابقة للحرب المستوطنات الجنوبية بشكل نهائى. أما الحدود المصرية فقد هدأت لعشر سنوات.

(ج) كانت السنوات العشر من الهدوء على الحدود المصرية بمثابة عامل حيوى جدا لتطوير وترسيخ إسرائيل. فتضاعف الإنتاج الوطنى وازداد دخل الفرد الإسرائيلى.

وأدى هذا الازدهار الاقتصادى والزيادة فى عدد المهاجرين إلى تعزيز وتقوية القوات العسكرية الإسرائيلية[٦٣] التى تطورت بشكل كبير وضخم ولم يكن هذا التطور ناتجا عن الهدوء الذى ساد الجبهة المصرية طيلة عشر سنوات. بل لقد جاء بشكل أساسى على حد قول مردخاى «على أرضية العلاقة الفرنسية الإسرائيلية التى توطدت بشكل كبير فى أعقاب حرب ١٩٥٦م والتى أدت إلى تقديم فرنسا لإسرائيل مساعدات عسكرية هائلة[٦٤]. ويشير مردخاى إلى تطور العلاقة الأمريكية الإسرائيلية بعد حرب ١٩٥٦م وبداية اعتبار أمريكا لإسرائيل كوسيلة ضرورية وهامة للحد من السيطرة السوفييتية وانتشارها فى منطقة الشرق الأوسط[٦٥]. وبالتالى الاهتمام بتعزيز وتقوية القوة العسكرية الإسرائيلية. وهو هنا يسلط الضوء على قضية خطيرة وهى اهتمام الدول الكبرى بإسرائيل وتزويدها بالسلاح وجعلها باستمرار أقوى من العرب لأنها قاعدة للاستعمار فى المنطقة تحمى مصالحه وتدافع عنه. ولكن هل حققت إسرائيل كل أهدافها فى حرب ١٩٥٦م؟ هذا ما سنوضحه فى النقطة التالية.

٤ـ ما لم تحققه إسرائيل فى حرب ١٩٥٦م:

إن إسرائيل لم تحقق كل أهدافها فى حرب ١٩٥٦م. وكانت شهادة رابين من أكثر الشهادات موضوعية حيث تناول هذه النقطة بكثير من العمق والدراسة حيث قال لكل حرب أهدافها التى يجب أن نقيس مدى نجاحها أو فشلها بمدى ما حققته منها. وقد سبق وأن قال «كلازوفيتش» – منظر عسكرى روسى – إن الحرب هى استمرار للسياسة بطرق أخرى. وبالتالى فإن نتائج الحرب لا تقاس فقط بمدى إنجازاتها العسكرية. بل أيضا بمدى الإنجازات السياسية التى حققتها كما لا يمكننا تقييم نجاح أو فشل الحرب بالإنجازات العسكرية وكسب المعارك. بل بمدى ما حققته تلك الحرب من حلول للمشاكل القائمة بين الجهات المتنازعة.

إن ما نريد قوله إن حرب ١٩٥٦م لم تحل قضية (انعدام السلام) بين إسرائيل وجاراتها العربية. بل إنها لم تؤدى إلى تحسن هذا الوضع. وبرغم أنه ليس بمقدور أى حرب أن تحل مثل هذا الوضع. إلا أننا لا نستطيع تجاهل هذا الأمر. كما أن نظام عبد الناصر لم يتقوض من جراء تلك الحرب رغم الهزة الكبيرة التى نالها. كما أنها لازالت أقوى قوة

عسكرية تهدد أمن إسرائيل من بين الدول العربية. وبرغم أن حرب ١٩٥٦م غيرت الكثير من وجهة النظر المصرية تجاه حل النزاع العربى الإسرائيلى إلا إنها لم تغير من أهدافها الرئيسية بهذا الصدد. كما أن حرب ١٩٥٦م لم تحدث أى أثر أو تغير على الحدود الإسرائيلية كما تم تحديدها فى أعقاب حرب ١٩٤٨م. وبرغم أنه نشأ نوع من الوضع السياسى بين مصر وإسرائيل فى أعقاب الضغوط السياسية التى اضطرت إسرائيل فى أعقابها إلى الانسحاب من سيناء وقطاع غزة[٦٦]. وهذه الشهادة تتسم بالموضوعية وهى على النقيض تماما من شهادة جولدا مائير التى تدعى أن إسرائيل حققت نتائج باهرة فى حرب ١٩٥٦م وتقول «إننا ربحنا الحرب ضد مصر» إلا أن فرنسا وبريطانيا قد خسرتاها بسبب رد الفعل العام فى كل منهما الذى اعتبرها اعتداء إمبرياليا على دولة أجنبية. وفشل الهجوم الأنجلو فرنسى تحت الضغطين الأمريكى والسوفييتى اللذان طلبا سحب قواتهما من منطقة قناة السويس. وانسحاب إسرائيل من شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة[٦٧].

والواقع أن إسرائيل لم تربح الحرب ضد مصر كما تدعى جولدا مائير، بينما يذكر رابين فى مذكراته شهادة إنصاف لمصر ولعبد الناصر قائلا «إن عملية سيناء فى عام ١٩٥٦م لم تضر بهيبة مصر وزعيمها عبد الناصر فقد جمع عبد الناصر هيبة سياسية وشخصية ومهد الطريق لتقويض مواقف الغرب فى الشرق الأوسط»[٦٨].

ويذكر رابين فى تعليق له على حرب ١٩٥٦م «إنه كان هناك انتصاران فى سيناء.. انتصار إسرائيلى وانتصار مصرى.. بينما كان هناك مهزومان: بريطانيا وفرنسا.. وإنه فيما يتعلق بمصر فإن ظروف الحملة والأمور التى أحاطت بها قد ثبتت مكانة عبد الناصر فى العالم الثالث وفى العالم العربى كقائد عظيم وزعيم بلا منازع. وأن الأخطاء التى ارتكبت خاصة من جانب البريطانيين والفرنسيين قد رفعت زعامة عبد الناصر إلى مرتبة لم تكن له من قبل»[٦٩].

ومصر لم تهزم فى حرب ١٩٥٦م كما تدعى بعض الشهادات الإسرائيلية. لأننا لو كنا انهزمنا عسكريا فى ١٩٥٦م ما كنا استطعنا أن ننتصر سياسيا على حد قول كمال حسن على فى كتابه «مشاوير العمر»[٧٠] حيث قال «وأفضل دليل مؤسف أسوقه للبرهنة على ذلك ما حدث فى ١٩٦٧م فقد انهزمنا سياسيا فى ١٩٦٧م لأننا أساسا قد انهزمنا عسكريا»[٧١].

وهكذا يمكن القول إن مصر لم تهزم فى حرب ١٩٥٦م. لكن إسرائيل فى نفس الوقت

قد حققت أحد أهدافها السياسية بفتح مضايق تيران فى مدخل خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية. بعد أن قررت الأمم المتحدة وضع طوارئ دولية فى شرم الشيخ وعلى حدود مصر الشرقية وعلى حدود القطاع الفلسطينى فى غزة الذى كانت تديره مصر[٧٢].

وكان هذا هو المكسب الوحيد الذى حققته إسرائيل من حرب ١٩٥٦م، لكنها فشلت فى تحقيق هدفها الرئيسى وهو القضاء على عبد الناصر.

□□□

الهوامـش

(١) موشى ديان. يوميات معركة سيناء. إدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة ١٩٦٦م.

(٢) انظـر. جولـدا مائير. حياتى. ترجمـة دار الجليل، الطبعة الأولى دار الجبل للنشـر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. عمان ١٩٨٩م.

(٣) موشـى كرمل. هكذا اتخذ القرار. منشـور فى مردخاى بار أون. حرب سيناء ١٩٥٦م تصورات إسـرائيلية. ترجمة. بدر العقيلى. دار الجليل للنشـر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. الطبعة الأولى. عمان ١٩٨٨م. ص ٨٥ وما بعدها.

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر. نفس المصدر. ص ٨٩، ٩٠. ويذكر موشـى كرمل الأسـباب التى دعت بن جوريون يتطلع إلى فرنسـا قائلا «وسـرعان ما اتضح لنا إنه يتطلع إلى فرنسـا كمورد معقول ومحتمل للأسـلحة والتعاون. وذلك لما تعانيه فرنسا من مشاكل جراء حربها فى الجزائر التى تعاونها مصر. مما يوجد قواسـم مشـتركة بينها وبين إسـرائيل على صعيد الخصم. ويوجد الأسس المحتملة لإمكانية التعاون بيننا وبينها فى مواجهة العدو المشترك» انظر نفس المصدر. ص ٨٧.

(٥) إسحاق رابين. مذكرات إسحاق رابين. القسم الأول. سلسلة شخصيات صهيونيه. ١١/١. دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية. الطبعة الأولى. عمان ١٩٩٣م.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر. نفس المصدر، ص ٨٥، ٨٦.

(٧) اسـحاق رابين. عبر حرب سـيناء ١٩٥٦م. منشور فى مردخاى بار أون. حرب سيناء ١٩٥٦ تصـورات إسـرائيلية. ترجمة. بدر العقيلى. دار الجليل للنشـر والدراسـات والأبحاث الفلسطينية، الطبعة الأولى. عمان ١٩٨٨م. ص ١٩٥ وما بعدها.

(٨) مردخاى بار أون. حرب سـيناء شـخصيات وإنجازات. منشور فى مردخاى بار أون. حرب سيناء ١٩٥٦م تصورات إسرائيلية. المصدر السابق. ص ٥ وما بعدها.

(٩) محمد السـعيد إدريس. أزمة السـويس والصراع على مسـتقبل الشرق الأوسط. بحث منشور فى مجلة السياسة الدولية، العدد ١٦٦ أكتوبر ٢٠٠٦م. ص ٢٥.

(١٠) صـلاح منتصـر. مـن عرابى إلى عبـد الناصر قراءة جديـدة للتاريـخ. الطبعة الأولى. دار الشروق. القاهرة ٢٠٠٣م. ص ٤٩. ولمزيد من التفصيل عن دور إسرائيل فى خطط

الاستعمار انظر إسماعيل صبرى عبد الله. الكوكبة والتنمية المستقلة والمواجهة العربية لإسرائيل، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٧م. ص ٢٦٩ وما بعدها.

(١١) نقلا عن جمال شتّرة. إسرائيل وثورة يوليو ١٩٥٢م – ١٩٥٦م. بحث منشور فى حرب السويس بعد أربعين عاما. تحرير رؤوف عباس حامد. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٩٧م ص ٥٨.

(١٢) طه المجدوب، سنوات الإعداد وأيام النصر يونيو ١٩٦٧م – أكتوبر ١٩٧٣م. مركز الأهرام للترجمة والنشر. مؤسسة الأهرام الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٩م. ص ١٣.

(١٣) نقلا عن صلاح منتصر. المرجع السابق. ص ٥٣.

(١٤) طه المجدوب. المرجع السابق. ص ١٤.

(١٥) لقد كان لدى كل دولة من الدول الثلاث التى اشتركت فى العدوان على مصر العديد من الدوافع الهادفة لضرب مصر والتخلص من عبد الناصر حتى قبل أن يقدم على تأميم القناة. لمزيد من التفصيل انظر محمد صابر عرب. التواطؤ الثلاثى بحث منشور فى حرب السويس بعد أربعين عاما. تحرير رؤوف عباس حامد. مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام القاهرة. ١٩٩٧م ص ١٧٨ وما بعدها.

(١٦) صلاح سالم. سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط. سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم ١٧٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٠م، ص ٩٨، ٩٩.

(١٧) نقلا عن مردخاى بار أون. حرب سيناء شخصيات وإنجازات. ص ١٦.

(١٨) نفس المصدر. ص ١٦، ١٧.

(*) يذكر محمد حسنين هيكل أن إسرائيل مستعدة لضرب مصر فى كل وقت وبدون سبب. لأن مصر هى البلد الذى يمكن أن يقوم ويكون خطرا عليها، وهى البلد الذى يمكن أن يصنع أمن قومى عربى، فعندها إمكانية البشر، والموقع والتاريخ. نقلا عن برنامج مع هيكل. قناة الجزيرة بتاريخ ٢١/ ٢/ ٢٠٠٨م.

(١٩) نظرا لعدم حصول مصر على مطالبها من التسليح من الغرب ولكى تواجه خطر التسلح السرى الذى تقوم به إسرائيل لذا فإن مصر عقدت فى ١٧ سبتمبر ١٩٥٥م صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفيتى حيث يتم توريدها عن طريق تشيكوسلوفاكيا، ولقد أعلن

عبد الناصر بنفسه نبأ هذه الصفقة قبل أن يسأله أحد بذلك وكانت هذه الصفقة عبارة عن ٥٣٠ عربة مدرعة، ٢٣٠ دبابة، ٢٠٠ ناقلة جنود، ١٠٠ مدفع ذاتى الحركة، ٥٠٠ قطعة مدفعية أنواع، ٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة، مجموعة بحرية تضم مدمرات وكاسحات ألغام وثلاث غواصات. نقلا عن وزارة الدفاع. حرب العدوان الثلاثى على مصر خريف ١٩٥٦م، الجزء الأول، دون تاريخ. ص ٢٥.

(٢٠) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢١.

(٢١) كان يشغل حينئذ منصب وزير الدفاع تحت رئاسة شاريت رئيس الوزراء الإسرائيلى، إلى أن حانت الانتخابات فى شهر نوفمبر ١٩٥٥م. فعاد بن جوريون رئيسا للوزارة ووزيرا للدفاع، انظر. موشى ديان. ديان يعترف. إعداد شوقى إبراهيم ومراجعة عزيز عزمى. كتاب التعاون، مركز الدراسات الصحفية مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٧م ص ١١٢.

(٢٢) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢١، ٢٢. كما ذكرت إحدى الشهادات أن هذه الصفقة – أى صفقة الأسلحة التشيكية – منحت مصر تجهيزا تسليحيا سوفيتيا كبيرا أمكنه تهديد الوجود الإسرائيلى بشكل خطير. انظر موشى كرمل المصدر السابق ص ٨٥.

(٢٣) موشى ديان. يوميات معركة سيناء. ص ٣٠.

(٢٤) عبد الرحمن الرافعى، ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢م. تاريخنا القومى فى سبع سنوات ١٩٥٢م – ١٩٥٩م، مطبعة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٥٩م. ص ١٦٨. وجدير بالذكر أن الرئيس جمال عبد الناصر ذكر فى حديث له مع كيرميت روزفلت – مبعوث الرئيس الأمريكى أيزنهاور – قائلا «وإنكم دائما تتكلمون عن التوازن العسكرى فى منطقة الشرق الأوسط رغم أن صحفكم تذكر أن الجيش الإسرائيلى قادر على القضاء على جميع الجيوش العربية، وأن ما لديه من عتاد وأسلحة يفوق ما لدى الدول العربية مجتمعة.. ونحن بتسليح جيشنا بهذه الصفقة لا نقصد الاعتداء على إسرائيل، وإنما هدفنا هو أن نكون قادرين على الدفاع عن أنفسنا» نقلا عن عبد اللطيف البغدادى، مذكرات عبد اللطيف البغدادى، الجزء الأول، المكتب المصرى الحديث، القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢٠٥.

(٢٥) يبدو أن التوازن الذى تفهمته الدول الكبرى المؤيدة لإسرائيل على حد قول جمال عبد الناصر هو «أن تسلح إسرائيل ويمنع السلاح عن مصر وعن العرب» نقلا عن

عبد الرحمن الرافعى. المرجع السابق. ص١٧١. وهذا لا يعنى إلا شيئا واحدا إنهم يريدون أن نكون مستضعفين.

(٢٦) موشى ديان. المصدر السابق. ص ٣٢ ويذكر ديان أن مصر كان لديها «عند عقد الصفقة ما يقرب من ٢٠٠ دبابة وكان لدى إسرائيل مثل هذا، والآن أصبحت القوة المدرعة لمصر بمفردها ودون حساب ما تملكه سائر الدول العربية، أكبر أربعة أمثال عما لدى إسرائيل، وحدث مثل هذا أيضا فى الجو. فحتى ذلك الوقت كان لدى مصر نحو ٨٠ طائرة نفاثة فى مقابل ٥٠ (متيور واوراجان) لدى سلاح الجو الإسرائيلى. ولكن رفعت الصفقة التشيكية عدد طائرات القتال النفاثة التى لدى مصر إلى ٢٠٠ طائرة أى إلى أربعة أضعاف عدد الطائرات الإسرائيلية. وتكرر هذا أيضا فى المدفعية، وفى البحر، وفى كتائب سلاح المشاه لم يكن موقف إسرائيل بأفضل، وكان الفرق فى «الكم» بل والتفوق فى «الكيف» الذى حصلت عليه مصر عاملا حاسما فى قلب كفتى «ميزان القوى» رأسا على عقب «انظر نفس المصدر. ص٣٢. ومن الواضح أن ديان كان مبالغا فى تقديره لقوة مصر العسكرية إلى حد كبير. قبل الصفقة وبعدها. ولم يكن وحده الذى بالغ فى تقدير الصفقة، فقد ذكر المارشال «تمبلر» رئيس هيئة الدفاع عن الإمبراطورية البريطانية «إن صفقة الأسلحة مع مصر كبيرة وتتضمن تسليح ثلاث فرق مدرعة طبقا للمعلومات المتوافرة لدى إدارة المخابرات العسكرية البريطانية» نقلا عن محمد حسنين هيكل. ملفات السويس حرب الثلاثين سنة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٩٦م ص ٣٦٨ ويعلق هيكل على ذلك قائلا «كان تمبلر» مبالغا فى تقديره إلى حد كبير لأن صفقة الأسلحة مع الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت لم تكن تتجاوز تسليح أكثر من فرقة مدرعة واحدة» انظر نفس المرجع. ص ٣٦٨. كما ذكر ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى إلى «سلوين لويد» وزير الدولة للشؤون الخارجية وإلى السير «ويليام سترانج» «أعتقد أن موقفنا من إسرائيل يجب أن يكون أقرب من ذلك، إن إسرائيل أقوى قوة مقاتلة فى الشرق الأوسط وقد يجئ الوقت الذى نستعين فيه بها إذا حاولت حكومة مصر أن تهاجمنا» نقلا عن. محمد حسنين هيكل. المرجع السابق. ص ٢٨٩. وهذا الكلام الذى ذكره تشرشل عام ١٩٥٣م. وأكد فيه أن إسرائيل أقوى قوة مقاتلة فى الشرق الأوسط يدحض رواية ديان عن الفرق الشاسع لقوة مصر العسكرية قبل وبعد الصفقة، ويؤكد تشرشل فى رسالة منه إلى ويليام سترانج بتاريخ

٢٣/ ٤/ ١٩٥٣م «إن أمامنا فى الغالب مواجهة مع مصر، وإسرائيل قد تصبح عنصرا مهما فى هذه المواجهة سواء من الناحية العسكرية أو السياسية. ولا يحق لنا أن نتخلى عن ورقة بهذه الأهمية» نقلا عن نفس المرجع. ص ٢٩٠. وجدير بالذكر أن هذه الوثيقة منشورة فى نفس المرجع ص ٧٥٠.

ويدل ذلك على أن الدول الكبرى عملت على أن يظل التوازن العسكرى فى صالح إسرائيل على حساب العرب لأن إسرائيل قاعدة للاستعمار تحمى مصالحه وتقدم له خدمات جليلة، لهذا تعاونت بريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة على تزويد إسرائيل بكل ما تحتاج إليه فى سخاء لا يكفى لتفسيره نفوذ الصهيونيه فى تلك البلاد، وإنما يفسره أساسا إحساس الدول الاستعمارية بأنها تدافع عن قضية تمسها بشكل مباشر، وبأنها تصون مصالح الاستعمار الغربى أو «العالم الحر» كما يقولون. انظر إسماعيل صبرى عبد الله. المرجع السابق. ص ٢٧٥.

(٢٧) محمد حافظ إسماعيل. أمن مصر القومى فى عصر التحديات. مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٧م. ص ٤٩. وجدير بالذكر أن محمد حافظ إسماعيل كان يشغل وقتئذ مدير مكتب عبد الحكيم عامر وكان على رأس وفد عسكرى ذهب إلى تشيكوسلوفاكيا للقيام بمفاوضات وإبرام اتفاق لتوريد احتياجات الجيش وسلاح الطيران من الأسلحة والمعدات. انظر نفس المصدر. ص ٤٥.

(٢٨) ونتيجة لموجة الهلع التى أصابت إسرائيل، هرع الآلاف من الإسرائيليين الذين استبد بهم القلق والخوف للتبرع بأموالهم وجواهرهم وبأشياء ثمينة أخرى للحكومة الإسرائيلية، من أجل مساعدتها على شراء السلاح وصورت آلة الدعاية الإسرائيلية «عبد الناصر» على أنه شيطان يهدد وجود إسرائيل، وازدادت كراهية «بن جوريون» له فأخذ يصفه بين الحين والآخر بأنه «نموذج عربى مضلل ومخادع» نقلا عن جمال شقرة. المرجع السابق. ص٦٠.

(٢٩) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢٢.

(٣٠) نفس المصدر ص ٢٢، ٢٣.

(٣١) نفس المصدر. ص ٢٣.

(٣٢) موشى ديان. ديان يعترف. ص ١١٣.

(٣٣) ممدوح أنيس فتحى. كيف يمكن هزيمة إسرائيل ؟ دراسة مقارنة لأسباب الهزيمة وعوامل النصر (١٩٤٨م – ٢٠٠٣م)، الطبعة الأولى، دار الأحمدى للنشر. القاهرة ٢٠٠٤م. ص ٥٨.

(٣٤) جدير بالذكر أن إسرائيل أطلقت على ميناء أم الرشراش اسم «ميناء إيلات» وعلى خليج العقبة اسم خليج إيلات وعلى مضايق تيران اسم «مضايق إيلات».

(٣٥) موشى ديان. يوميات معركة ميناء. ص ٣٧، ٣٨.

(٣٦) نفس المصدر. ص ٣٩.

(٣٧) نفس المصدر.

(٣٨) ممدوح أنيس فتحى. إدارة أزمة العدوان الثلاثى. بحث منشور فى حرب السويس بعد أربعين عاما، تحرير رؤوف عباس، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة ١٩٩٧م. ص ٢١٧.

وجدير بالذكر أن ديان يقول إن غلق المضايق ليس قانونيا ويتعارض مع معاهدة قناة السويس التى وقعت فى القسطنطينية عام ١٩٨٨م. انظر موشى ديان المصدر السابق. ص ٣٨. والجدير بالملاحظة هنا أن معاهدة القسطنطينية (٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨م) تقر بحق مصر غير المنازع فى المادة ١٠ أن تتخذ من إجراءات الأمن ضد سفن الأعداء ما تراه ضروريا لسلامتها، لمزيد من التفصيل انظر راشد البراوى. مجموعة الوثائق السياسية. الجزء الأول. المركز الدولى لمصر والسودان وقناة السويس، جمعها وقدم لها وعلق عليها راشد البراوى، الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٢م ص ٨٤، عبد الرحمن الرافعى. مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال تاريخ مصر القومى من سنة ١٨٨٢م إلى سنة ١٨٩٢م، الطبعة الرابعة، دار المعارف ١٩٨٣م. ص٢٢٨ وما بعدها. محمد عبد الرحمن برج. قناة السويس فى ١٠٠ عام. سلسلة اقرأ عدد رقم ٣٢٢، دار المعارف، أكتوبر ١٩٦٩م ص ٨١. فتحى رزق. قناة السويس، الموقع والتاريخ، القاهرة: ١٩٨٣م ص ٣٦٦ وما بعدها. ويمكن القول إن قيام مصر بتطبيق نظام التفتيش البحرى والجوى على مياها الإقليمية عمل قانونى سليم وحق لانزاع فيه.

(٣٩) موشى ديان. المصدر السابق. ص ٤١.

(٤٠) نفس المصدر. ص ٣٩.

(٤١) نفس المصدر ص ٤١.

(٤٢) مردخاى بار اون. المرجع السابق. ص ٢٦.

(٤٣) نفس المرجع. ص ٢٧.

(٤٤) كانت فرنسا تواجه أزمة حقيقية فى الجزائر، وكانت المساعدات المصرية لثوار الجزائر تمثل دعما حقيقيا لاستمرار الثورة التى كانت تستنفذ قدرا هائلا من الإمكانات المادية والبشرية لفرنسا. وكان على فرنسا أن تعمل على انتزاع المبادرة من يد ناصر ووجدت ضالتها فى إسرائيل فقررت أن تدعم إسرائيل لصد جمال عبد الناصر. لمزيد من التفاصيل انظر السيد فليفل. أثر دعم مصر للثورة الجزائرية على مشاركة فرنسا فى العدوان. بحث منشور فى حرب السويس بعد أربعين عاما. تحرير رؤوف عباس. القاهرة ١٩٩٧م. ص ٩٩ وما بعدها.

(٤٥) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٢٧.

(٤٦) نفس المصدر. ص ٢٧.

(٤٧) نفسه. ص ٢٨.

(٤٨) موشى كرمل. المصدر السابق. ص ٨٩.

(٤٩) اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية. وثائق ندوة السويس الدولية معركة السويس ثلاثون عاما وثائق وشهادات تاريخية، الطبعة الأولى. دار الشروق. ١٩٨٩م. ص١٥٦.

(٥٠) مردخاى بار أون. المصدر السابق. ص ٣٠، ٣١. ومن المعروف أن فرنسا لعبت الدور الأهم فى تمكين إسرائيل من امتلاك السلاح النووى ودعمتها الولايات المتحدة فيما بعد. انظر محمد السيد سليم. دور العوامل الخارجية فى الصراع العربى – الإسرائيلى. مجلة السياسة الدولية. العدد ١٧٢، إبريل ٢٠٠٨م ص ٤٤.

(٥١) موشى ديان. يوميات معركة سيناء. ص ٨٨، ٨٩.

(٥٢) نفس المصدر. ص ٢٩ ويؤكد موشى ديان فى مذكراته أن اشتراك إسرائيل مع فرنسا وإنجلترا فى العدوان على مصر كانت فرصة تاريخية. وكان على إسرائيل أن تفعل أقصى ما فى وسعها للاستفادة منها. انظر موشى ديان. ديان يعترف. ص ١٢١، ١٢٢.

(٥٣) ألفت أحمد الخشاب. الأطماع الصهيونية فى شبه جزيرة سيناء. بحث منشور فى خمسون عاما على العدوان الثلاثى على مصر. إشراف محمد عفيفى. لجنة التاريخ. المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٧م. ص ٣٣.

(٥٤) نقلا عن ممدوح أنيس فتحى. كيف يمكن هزيمة إسرائيل؟ ص ٨٨. وجدير بالذكر أن إسرائيل مازالت تعتبر مصر هى الخطر الحقيقى عليها. وتذكر الصحافة الإسرائيلية أن التهديد العسكرى الأكبر على إسرائيل حاليا هو التهديد المصرى «فلن يكون ولم يكن هنالك أبدا سلام مع مصر وأن الجيش المصرى ليس له عدوا عدا إسرائيل وأن مصر تخطط لحرب إبادة ضد إسرائيل» ويعترف بعض الصحفيين الإسرائيليين بتأصل العداء الصهيونى ضد مصر برغم ما يعرف باتفاقية السلام الموقعة بينهما». لمزيد من التفصيل انظر المعتز بالله محمد النووى صدمة جديدة فى عيد الغفران. مقال منشور فى مجلة الموقف العربى. عدد رقم ٢٢٨. ٣ أكتوبر ٢٠٠٦م ص ٣٦.

(٥٥) ممدوح أنيس فتحى. المرجع السابق ص ٨٩. ولمزيد من التفصيل انظر موشى ديان. يوميات معركة سيناء. ص٨٦. ٢٢٢، ٢٢٣.

(٥٦) جولدا مائير. المصدر السابق. ص ١٣٣.

(٥٧) موشى ديان. المصدر السابق ص ٦٢.

(٥٨) مردخاى بار أون. المصدر السابق ص ٣٣.

(٥٩) نفس المصدر. ص ٣٢. ويذكر بن جوريون فى الكتيب الذى نشره بعد حرب سيناء تحت عنوان: لماذا قاتلنا؟ ولماذا انسحبنا. وما الذى أنجزناه؟ كتب. إن الهدف الأول لحرب سيناء كان تعزيز قدرة الردع الإسرائيلية وكسر قوة جمال عبد الناصر. نقلا عن نفس المصدر ص ٣٢.

(٦٠) نفس المصدر. ص ٣٢.

(٦١) لمزيد من التفصيل انظر. إسحاق رابين. عبر حرب سيناء ١٩٥٦م. ص١٩٧ وما بعدها.

(٦٢) نفس المصدر. ص ٢٠١. ٢٠٢.

(٦٣) لمزيد من التفصيل انظر مردخاى بار أون. المصدر السابق ص ٣٤ وما بعدها.

(٦٤) نفس المصدر. ص ٣٨.

(٦٥) نفسه.

(٦٦) إسحاق رابين. المصدر السابق. ص ٢٠٢، ٢٠٣.

(٦٧) جولدا مائير. المصدر السابق. ص ١٣٦.

(٦٨) إسحاق رابين. مذكرات إسحاق رابين، القسم الأول. ص ٨٦.

(٦٩) انظر تعليق لستر كايل عن ندوة عقدت بإسرائيل عام ١٩٨٦م. منشور فى اللجنة المصرية لتضامن الشعوب الإفريقية الأسيوية. وثائق ندوة السويس الدولية. ص ١٥٥.

(٧٠) نقلا عن محمد الجوادى. مذكرات وزراء الثورة. الجزء الأول. الطبعة الأولى. دار الشروق ١٩٩٥م. ص ٢٠.

(٧١) نفس المرجع. ص ٢٠.

(٧٢) محمد عبد الغنى الجمسى. مذكرات المشير محمد عبد الغنى الجمسى. حرب أكتوبر ١٩٧٣م. مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٣م. ص ٢٦.

□□□